من صفات البيت المسلم في القرآن الكريم

م. م. ياسر حسين مجباس العزاوي الخبير اللغوي / د. عدي خالد البدراني
جامعة الانبار / كلية القانون والشريعة

مقدمة

الحمد لله منزل الكتاب بلسان عربي مبين، والصلاة والسلام الأتمان على رسوله وحبيبه المنزل عليه الكتاب وهو رحمة للعالمين سيدنا محمد، وعلى الأنبياء والمرسلين وآلهم وصحبهم وتابعيهم أجمعين.

أما بعد:

فإنه لا يخفى أن القرآن الكريم كتاب الله تعالى الخالد والباقي الذي لا يزول والذي ((لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ))(١)، لا تنقضي عجائبه، ولا تنتهي معانيه، المنبع لدين الإسلام، يبقى الدستور والمنهاج القويم الصحيح الذي لا تقوم الحياة الا به، ولا ترتاح البشرية من كل عناء إلا فيه، ذلك انه خاتم الكتب الإلهية المنزل على خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم، أنزله تعالى اليه تشريفا وتعليما للناس جميعا فخول الله تعالى رسوله ببيانه فقال: ((وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ))(٢)، فبينه أحسن البيان وأوضحه، فأجمل وفصل وعمم وخصص وأطلق وقيد، فجزاه الله عنا خير ما يجزي نبيا ورسولا عن أمته، ومع أنه صلى الله عليه وسلم بين القرآن كما أمره الله تعالى لم يغلق على أمته باب الفهم والتوضيح فترك لهم الغوص بمعانيه، والإبحار في لججه، فأبحر أئمة قد خصهم الله بهذا الفضل العظيم ففسروه بما وصلت اليه طاقاتهم، ونشروا بين المسلمين تفاسير مختصرة ومطولة ومتوسطة، حسب قرائحهم النفسية ومنائحهم القدسية، وأوقاتهم الزكية.

وكان من فضل الله تعالى عليّ أن هداني لأن أستقي من معين هذا الكتاب العظيم، وإني مع قلة بضاعتي، وضَعْف قوتي لاقتحام هذا الميدان، توكلت على الله المنان، واعتمدت على حوله وقوته، راجياً منه تعالى أن يجعلني ممن خدم كتابه تعالى وكفى بها منة.

سبب اختياري للموضوع:

مما لا ريب فيه أن البيت نعمةٌ لا يعرف قيمتَه وفضله إلا من فقده، فعاش في ملجأ مُوحش، أو ظلماتِ سجن، أو تائه في شارع أو فلاة، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾[٣]، قال ابن كثير[١] رحمه الله: ((يذكر تبارك

---

[١] (فصلت:٤٢)

[٢] النحل: من الآية٤٤.

٣ [النحل:٨٠]

وتعالى تمام نعمته على عبده بما جعل لهم من البيوت التي هي سكن لهم يأوون إليها، ويستترون فيها، وينتفعون بها سائرَ وجوهِ الانتفاع))[٢].

وأن البيت المسلم عماد المجتمع، ولا قيمة للمجتمع إذا لم يسلم عماده، والبيت المسلم أمانةٌ يحمِلها الزوجان، وهما أساس بنيانه ودِعامة أركانه، وبهما يُحدِّد البيتُ مسارَه، فإذا استقاما على منهج الله قولاً وعملاً وتزيَّنا بتقوى الله ظاهرا وباطنا وتجمَّلا بحسن الخلق والسيرة الطيبة غدا البيتُ مأوى النور وإشعاعَ الفضيلة، وسَطع في دنيا الناس، ليصبح منطلَق بناءِ جيل صالح وصناعة مجتمعٍ كريم وأمَّة عظيمة وحضارة راقية.

وقد وضع القرآن الكريم صفات للبيت المسلم الذي إذا اتصف بها كان بيتا كما أراد ربه أن يكون فله أن يفوز بسعادة الدارين، وكلما كثرت تلك الصفات ازداد النجاح والسعادة، وكان البيت قدوة يشار اليه بالبنان.

وقد جاءت آيات كثيرة في هذا الصدد، لا يسع المجال لذكرها، وقد اخترت بعد التتبع واحدة منها؛ لما رأيت من أنها — إن صح التعبير– الآية الأم في صفات البيت المسلم وأنها الأعم من غيرها، وهي قوله تعالى من سورة يونس: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَوةَ وَبَشِّرْ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[٣].

فقد رأيت أن الآية تنادي قوم موسى ومن بعدهم من الأمم بأن يهمتوا ببيوتهم وصلتهم مع الله، وبجعلها (قبلة) بكل ما تحمله الكلمة من معان، وأن الآية تحاكينا نحن الضائعين التائهين، وتعطينا الدواء الصحيح الناجع لداء قد أصابنا، ذاك أننا – معاشر هذه الأمة – قد أصبنا بأمراض كثيرة، أعضلها:

١- الفتور والتقاعس في عبادة الله عز وجل.

٢- ضياع البيت المسلم وشتات من يسكنه.

٣- الخلطة والصحبة السوء.

فشرعت أجمع المعاني في الآية؛ لأكتب فيها، لعلي أوفق لقطرة من بحارها، وأفقه معنى لطيفاً من معانيها، فآل بي المطاف إلى أن أصل إلى ما أنا عليه الآن، وكان بحثي هذا الذي عنونته بـ (من صفات البيت المسلم في القرآن الكريم) على فروع عشرة:

الفرع الأول: مناسبة الآية لما قبلها.

الفرع الثاني: كيفية وقوع هذه الواقعة وسببها.

الفرع الثالث: تحليل المفردات: تناولت فيه معاني بعض المفردات من الناحية اللغوية مقتصراً على المعاني التي تقترب من تفسير الآية الكريمة.

---

١ ابن كثير: هو الإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي (ت٧٧٤هـ)، إمام محدث مفت بارع. طبقات المفسرين – أحمد بن محمد الأدنروي: ٢٦٠/١، نشر: مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي.

٢ تفسير ابن كثير: المسمى (تفسير القرآن العظيم)، للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي (ت٧٧٤هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان ، ١٣٨٨هـ – ١٩٦٩م.

(٣) الآية (٨٧)

الفرع الرابع : الإعراب: وضحت فيه إعراب المشكل من الآية.

الفرع الخامس: القراءات: ذكرت جميع ما قريء فيها من القراءات القرآنية، مبينا من قرأ بها.

الفرع السادس: الوجوه البلاغية وسر تنويع الخطاب فيها.

الفرع السابع : الوجوه والنظائر: اخترت كل المفردات التي ذكرها العلماء في هذا المجال – مما لدي من مصادر– مبينا وجه ونظير تلك المفردة في القرآن الكريم.

الفرع الثامن: الدروس المستنبطة من الآية: ذكرت فيه أهم الفوائد والأحكام الفقهية المأخوذة من الآية.

الفرع التاسع: دور البيوت المسلمة في الدعوة الى الله تعالى.

الفرع العاشر: المعنى الإجمالي للآية.

وقد تركت فرعين مهمين هما: سبب نزول الآية، والتفسير الاشاري لها. وما ذاك لعجزي أو لشيء آخر، وإنما بعد البحث والاستقصاء لم أرَ من ذكر لهذه الآية شيئاً في هذين المجالين. والله اعلم.

❁ الفرع الأول: مناسبة الآية لما قبلها:

لما دعا موسى قومه المؤمنين إلى أن يتوكلوا على الله في أمورهم كلها ﴿ وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴾(١)، أجابوه إلى إظهار الاعتماد والثقة به سبحانه ﴿ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا ﴾(٢)ولم يكتفوا بهذا فحسب، وإنما دعوه سبحانه منيبين مظهرين الفقر والعجز ﴿ رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّلِمِينَ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنْ الْقَوْمِ الْكَفِرِينَ ﴾(٣).

جاءهم الخطاب الإلهي ليزيدهم طمأنينة من التوطن في أرض العدو، وإلى ما يوصل إلى نصرهم على أعدائهم فقال تعالى:

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّأَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَبَشِّرْ الْمُؤْمِنِينَ﴾.(٤)

❁ الفرع الثاني: كيفية وقوع هذه الواقعة وسببها:

ذكر المفسرون في كيفية وقوع هذه الواقعة وجوها من أهمها:

أولا: أنه أمْرٌ لموسى ومن معه من المؤمنين بأن يصلوا في بيوتهم خفية من فرعون وقومه لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم، وهذا في أول الأمر من دينهم، كما حصل للنبي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه بمكة المكرمة.(١)

---

(١) سورة يونس الآية (٨٤).

(٢) سورة يونس جزء من الآية (٨٥) .

(٣) سورة يونس جزء من الآية (٨٥)، والآية (٨٦).

(٤) ينظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٧٨/٩، لبرهان الدين أبي الحسن بن عمر البقاعي (ت٨٨٥هـ)، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٩٧٠م .

قال الإمام الالوسي(٢) في تفسيره: ((وهو مبني على أن المراد بالبيوت المساكن، أما لو أريد بها المساجد فلا يصح كما لا يخفى)).(٣)

ثانيا: لما أرسل الله تعالى نبيه موسى وهارون ـ عليهما الصلاة والسلام ـ إلى بني إسرائيل، وأقيمت الشريعة على الأرض وعُبِدَ اللهُ، أَمَرَ فرعون بتخريب مساجد بني إسرائيل ومنعهم من الصلاة، أمرهم الله بأن يتخذوا بيوتهم مساجد ويصلوا فيها خوفا من فرعون وقومه. وهذا ما روي عن قتادة.(٤) ٥

ولعل التوجيه على ذلك هو أنهم أمروا بالصلاة ليستعينوا ببركتها على مقصودهم فقد قال سبحانه: ﴿واسْتَعِينُوا بالصَّبْرِ والصَّلوة﴾(٦)، وهي في المساجد أفضل فتكون أرجى للنفع.(٧)

ثالثا: أنه لما أرسل الله موسى إلى بني إسرائيل وأظهر فرعون تلك العداوة الشديدة، أمر موسى باتخاذ المساجد بيوتا للعبادة على رغم الأعداء وتكفل الله أنه يصونهم عن شر أعدائهم.(٨)

الفرع الثالث: تحليل المفردات:

❖ (أوحينا) من الوحي وهو يطلق على معان منها:

الإشارة، والكتابة، والمكتوب، والرسالة، والإلهام، والكلام الخفي، وكل ما ألقيته على غيرك.[١]

---

[١] ينظر تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ٢٤٩/٢، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت٥٣٨هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، وتفسير الرازي: ١٤٨/١٧، المسمى التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي (ت٦٠٦هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية. وتفسير الخازن: ١٦٧/٣، المسمى (لباب التأويل في معاني التنزيل)، لعلاء الدين علي بن محمد البغدادي المعروف بالخازن (ت٧٢٥ هـ)، المكتبة التجارية الكبرى بمصر.

[٢] الآلوسي: هو الإمام العلامة السيد شهاب الدين محمود بن السيد عبد الله أفندي، أبو الفضل وأبو الثناء الآلوسي سلالة، الحسيني نسبا، البغدادي ولادة ووفاة، صاحب التفسير والعلم الغزير، ولد سنة (١٢١٧هـ)، وتوفي سنة (١٢٧٠هـ). ينظر: الإمام أبو الثناء الآلوسي: ص٢٠–٢٢، بقلم الأستاذ محسن عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة– العراق، الطبعة الاولى– ١٩٩٢.

[٣] روح المعاني: ١٧١/١١، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للإمام أبي الثناء الالوسي (ت١٢٧٠هـ)، دار احياء التراث العربي، عنيت بنشره الطباعة المنيرية ، بيروت – لبنان.

[٤] ينظر تفسير ابن جرير: ١٥٥/١١، المسمى (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٧٣هـ – ١٩٥٤م. والدر المنثور في التفسير المأثور: ٣٨٣/٤، للجلال السيوطي، دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

(٥) قتادة : هو أبو الخطاب البصري قتادة بن دعامة السدوسي، ثقة ثبت مفسر، احد علماء التابعين والائمة العاملين روى عن انس بن مالك يقال ولد أكمه. ينظر تقريب التهذيب: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني :٤٥٣/١. نشر: دار الرشيد– سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ – ١٩٨٦، تحقيق: محمد عوامة.

(٦) سورة البقرة : جزء من الآية (٤٥).

[٧] ينظر تفسير القرطبي: ٢٣٧/٨، المسمى (الجامع لأحكام القرآن)، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت٦٧١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ–١٩٨٨م، روح المعاني: ١٧٢/١١.

[٨] ينظر تفسير الرازي: ١٤٨/١٧.

ويقال: توحى: أسرع، واستوحيته : استعجلته، واستوحِ لي بني فلان ما خَبَرُهُم: استخبرهم.[٢]

❖ (تبوءا) من باء يبوء بوءاً، أي: رجع، يقال بوّأهُ منـزلا، وفيه: أنزله كأباءه، والاسم منه البيئة .[٣]

ولا يقال عند الإطلاق إلا في المنـزل الطيب، ومنه: بوّأك الله مبوأ صدق، وتبوأ فلان منـزلا طيبا.(٤)

أما العلاقة بين باءَ بمعنى رجع وبوّأه بمعنى أسكنه منـزله فهي:

((كأن صاحب المسكن يكلف نفسه الرجوع إلى محل سكنه ولـو كـان تباعـد عنـه في شـؤون اكتسـابه بالسـير إلى السوق أو الصيد و الاحتطاب أو قطف الثمار أو نحو ذلك)).(٥)

❖ (قبلة) القاف والباء واللام ـ قبل ـ كلمة تدل على مواجهة الشيء للشيء مواجهـة وعيانـا، يقـال: أصـبت هذا من قِبَلِك، أي: من جهتك وتلقائك.[٦]

والقِبْلة ـ بكسر القاف وباء ساكنة ـ التي يصلى نحوها سميت بذلك لإقبال الناس إليها في صلاتهم.[٧]

❖ المعاني الواردة في قوله تعالى: ﴿ وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾:

ذكر المفسرون لهذه الآية معاني تقترب من هذه المعاني اللغوية أهمها:

١. اجعلوا بيوتكم مساجد، وهذا لما خرّب فرعون –لعنه الله– مساجد بني إسرائيل ومـنعهم مـن الصـلاة خـافوا منه، فأمروا أن يجعلوا بيوتهم مساجد فيصلوا فيها. وهذا قول لابن عباس[٨] ومجاهد[٩] والضحاك[١٠] [١١]

---

(١) ينظر القاموس المحيط: فصل الواو باب الواو والياء مادة (الوحى) : ٤٠١/٤، لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية، ١٣٧١هـ – ١٩٥٢م.

(٢) ينظر أساس البلاغة: مادة (وحي) ص٦٦٨، للعلامة الزمخشري، دار صادر بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

(٣) ينظر القاموس المحيط: فصل الباء باب الهمزة مادة (باء): ٩/١، ولسان العرب: ٣٦/١.

(٤) ينظر أساس البلاغة: مادة (بوأ) ص٥٣.

(٥) التحرير والتنوير : ٢٦٤/١١، لمحمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر .

(٦) ينظر معجم مقاييس اللغة: مادة (قبل) ٥١/٥و٥٢، لأحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م. وأساس البلاغة: مادة (قبل) ص٤٩٠.

(٧) ينظر القاموس المحيط: فصل القاف باب اللام مادة (قبل) ٣٤/٤.

(٨) ابن عباس: الصحابي الجليل عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ودعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفهم في القرآن فكان يسمى البحر والحبر لسعة علمه. قال عمر: لو أدرك ابن عباس أسناننا ما عشره منا أحد. مات سنة (٦٨هـ) بالطائف. ينظر تقريب التهذيب: ١/ ٣٠٩.

(٩) مجاهد: هو أبو الحجاج مجاهد بن جبر المكي المخزومي مولاهم التابعي، وثقه الجميع، توفي بمكة وهو ساجد سنة (١٠١هـ). ينظر تقريب التهذيب :٢ / ١٥٩.

(١٠) الضحاك: هو الضحاك بن مزاحم الهلالي مولاهم الخراساني، وثقه أحمد وابن معين وأبو زرعة، صدوق كثير الإرسال، اشتهر بالتفسير، توفي سنة (١٠٥هـ)، وقيل غيرها. ينظر تقريب التهذيب:٤٤٤/١.

(١١) ينظر تفسير ابن جرير: ١٥٣/١١و١٥٤، وتفسير الماوردي: ١٩٦/٢. المسمى النكت والعيون لأبي الحسن بن حبيب الماوردي البصري (ت٤٥٠هـ)، تحقيق خضر محمد خضر، راجعه عبد الستار أبو غدة، مطابع مقهوي، الكويت، الطبعة الأولى،١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م

٢. اجعلوا مساجدكم نحو القبلة، أي: الكعبة. وهو قول لابن عباس مستدلاً بقوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّـهُ أَنْ تُرْفَعَ ﴾[١][٢]، وقول آخر لمجاهد وقتادة.[٣]

وهو مبني على ما قاله ابن عباس: الكعبة قبلة موسى[٤]، وما قاله الحسن البصري[٥] وغيره: الكعبة قبلة كل الأنبياء[٦].

قال السيوطي: ((وذُكِرَ أن آدم ـ عليه السلام ـ فمن بعده كانوا يصلون قبل الكعبة)).[٧] وهذا القول قد قال به من قبل الفراء[٨] والزمخشري[٩] والبيضاوي[١٠].[١١]

واعترض على تخصيص القبلة بالكعبة: ((بأن المنصوص عليه في الحديث الصحيح أن اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس، ولم يشتهر أن موسى كان يستقبل الكعبة في صلاته، فالقول به غريب)).[١٢]

٣. اجعلوا بيوتكم التي بالشام قبلة لكم في صلاتكم، وهي قبلة اليهود إلى اليوم.[١]

---

[١] سورة النور: جزء من الآية (٣٦) .

[٢] ينظر تفسير ابن جرير: ١٥٥/١١.

[٣] ينظر تفسير ابن جرير: ١٥٥/١١، وتفسير الماوردي : ١٩٦/٢.

[٤] لم أعثر عليه في مظانه، وقد ذكره الرازي في تفسيره :١٤٨/١٧، والقرطبي في تفسيره: ٣٣٠/٨، وفتح القدير:٦٧٥/٢، والتحرير والتنوير:١/ ٢٠٥٩.

(٥) الحسن: هو ابو سعيد الحسن بن ابي الحسن البصري، إمام اهل البصرة وخير أهل زمانه، توفي سنة (١١٠هـ). ينظر: شذرات الذهب في اخبار من ذهب:١٣٦/١، لعبد الحي بن العماد الحنبلي (ت١٠٨٩هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

[٦] ينظر تفسير الرازي: ١٤٨/١٧، ونسبه للعلائي أيضا، وحاشية الشهاب: ٥٥/٥، المسماة (عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي)، لشهاب بن أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي (ت١٠٦٩هـ)، دار صادر، بيروت، وروح المعاني: ١٧١/١١.

[٧] الدر المنثور : ٣٨٣/٤.

(٨) الفراء: هو أبو زكريا يحيى بن زياد الكوفي، كان رأسا في قوة الحفظ أملى تصانيفه كلها حفظا، نحوي مشهور، مات بطريق مكة سنة(٢٠٧هـ). ينظر: تهذيب الأسماء واللغات: ق١ج٢/٢٨٠، وتذكرة الحفاظ:٣٧٢/١، للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.

(٩) الزمخشري: العلامة كبير المعتزلة أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي، صاحب التفسير واللغة، ولد سنة٤٦٧هـ وتوفي سنة ٥٣٨هـ. ينظر سير أعلام النبلاء: ١٥١/٢٠-١٥٢.

(١٠) البيضاوي: هو الإمام عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي أبو الخير القاضي ناصر الدين البيضاوي الشافعي صاحب المطالع والمصباح في أصول الدين ومختصر الكشاف في التفسير المسمى بأنوار التنزيل وأسرار التأويل وله شرح المصابيح في الحديث، كان إماما مبرزا نظارا صالحا متعبدا زاهدا، ولي قضاء القضاة بشيراز، كانت وفاته في بلدة تبريز سنة (٦٨٥هـ). ينظر طبقات المفسرين للأدنروي: ٢٥٤/١.

[١١] ينظر معاني القرآن للفراء: ٤٧٧/٢، لأبي زكريا الفراء (ت٢٠٧هـ)، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية،١٩٨٠م. وتفسير الكشاف: ٢٤٩/٢، وتفسير البيضاوي: ٢٧/٣، المسمى (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، لناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر البيضاوي (ت٦٨٥هـ)، مطبوع بهامش حاشية الشيخ زادة، المكتبة الإسلامية، ديار بكر، تركيا.

[١٢] روح المعاني: ١٧١/١١، وينظر حاشية الشهاب: ٥٥/٥.

٤. اجعلوها متقابلة يقابل بعضها بعضا. وهو مروي عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير رحمه الله.[٢] [٣]

❖ (أقيموا) من أقام يقيم بمعنى أدام. تقول : ((أقام بالمكان إقامة وقامة: دام، والشيء أدامه))[٤]، وبمعنى عدّل، تقول: ((استقام اعتدل وقومته عدلته فهو قويم ومستقيم))[٥]، وعلى هذا يكون الأمر بإقامة الصلاة قد جمع المعنيين، فعلى الأول يكون الأمر: أدمها وداوم عليها في أوقاتها وأركانها وآدابها، وعلى المعنى الثاني يكون المراد بإقامة الصلاة: ((تعديل أركانها مِن أقام العود اذا قومه))[٦] .

❖ (بشر)، البِشر – بكسر الباء– الطلاقة، والبشر – بفتح الباء– القشر.[٧]

فكأن المبشِّر حين يحمل البشارة الى المبشَّر قد حمل شيئا أثر في بشرته وغيّر قشره، وأبرز علامات التغير هو طلاقة الوجه للمبشِّر والمبشَّر.

□ الفرع الرابع: الإعراب .

❖ قوله تعالى: ((أن تبوءا))، في (أن) وجهان:

أ– أن تكون تفسيرية؛ لأنه قد تقدمها معنى القول وهو الإيحاء وهذا أحد شروطها، وعليه لا يكون لها موضع من الإعراب.[٨]

ب – أن تكون مصدرية فتكون في موضع نصب بـ(أوحينا) مفعولا به، أي: أوحينا إليهما التبوء.[٩]

❖ قوله تعالى: ((لقومكما))، في اللام وجهان:

---

(١) نسبه الماوردي وابن الجوزي لابن بحر. ينظر تفسير الماوردي: ١٩٦/٢، وزاد المسير في علم التفسير: ٥٥/٤، للإمام أبي الفرج عبد الرحمن الجوزي القرشي (ت٥٩٧هـ)، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٨٥هـ – ١٩٦٥م.

(٢) ينظر تفسير ابن جرير: ١٥٥/١١، وزاد المسير: ٥٤/٤، والدر المنثور: ٣٨٣/٤، وروح المعاني: ١٧١/١١.

(٣) سعيد بن جبير: هو الامام سعيد بن جبير الأسدي مولاهم الكوفي ثقة ثبت فقيه من الطبقة الثالثة وروايته عن عائشة وأبي موسى ونحوهما مرسلة، قتل بين يدي الحجاج سنة (٩٥هـ). تقريب التهذيب: ٢٣٤/١.

(٤) القاموس المحيط : فصل القاف باب الميم مادة (قوم) : ١٧٠/٤ .

(٥) القاموس المحيط : فصل القاف باب الميم مادة (قوم) : ١٧٠/٤ .

(٦) تفسير النسفي : ١٣/١ للإمام أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت٧٠١هـ)، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه، مصر.

(٧) ينظر القاموس المحيط : فصل الباء –باب الراء مادة (البَشَرُ): ٣٨٦/١.

(٨) هذا مذهب البصريين لأن الكوفيين قد أنكروا . أن . التفسيرية البتة وهو وجه مقبول عند ابن هشام .ينظر مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ص٤٧و٤٨، لجمال الدين ابن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ)، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، نشر مؤسسة الصادق، طهران، الطبعة الاولى.

(٩) ينظر التبيان في إعراب القرآن: ق٦٨٤/٢، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت٦١٦هـ)، تحقيق محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ . ١٩٨٧م . والدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ٦٣/٤، لشهاب الدين أبي العباس بن يوسف بن محمد بن ابراهيم المعروف بالسمين الحلبي (ت٧٥٦هـ)، تحقيق مجموعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ–١٩٩٤م، وروح المعاني: ١٧١/١١.

أ- أن تكون صلة[1]. وعليه يكون (قومكما) مفعولا أولا و(بيوتا) مفعولا ثانيا، والمعنى: بوئا قومكما بيوتا، أي: أنزلوهم. جوزه أبو البقاء العكبري[2] [3]، والقول نسبه صاحب مجمع البيان[4] إلى أبي علي الفارسي[5].

قال السمين الحلبي[6]: ((وفيه ضعف من حيث إنه زيدت اللام والعامل غير فرع ولم يتقدم المعمول)).[7]

ب – أن تكون غير زائدة: وفيه وجهان:

أحدهما: أنها وما بعدها حال من البيوت. فصفة النكرة اذا تقدمت عليها أعربت حالا[8].

ثانيهما: أنها وما بعدها أحد المفعولين.

ويكون التقدير على هذين الوجهين: اتخذا لقومكما بيوتا.[9]

❖ قوله تعالى ((بمصر))، وفيها أربعة أوجه:

الأول: أنه متعلق بـ(تبوءا)، وهو ما مال إليه الإمام الالوسي في تفسيره.[10]

الثاني : أنه حال من البيوت. فالأصل بيوتاً كائنة بمصر ثم قدمت الصفة.

الثالث: أنه حال من قومكما.

الرابع : أنه حال من ضمير (تبوءا). وهو ضعيف كما قال أبو البقاء والسمين الحلبي والالوسي.[11]

---

(١) المراد بقولنا: صلة أي الزيادة ولكن لا نقولها مع القرآن تأدبا كما هو دأب جل علمائنا رحمهم الله تعالى.

[2] ينظر التبيان: ق٢/٦٨٤.

(٣) أبو البقاء: هو عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي الحنبلي، نحوي مفسر لغوي، توفي ليلة الأحد ثامن ربيع الآخر سنة (٦١٦هـ). ينظر طبقات المفسرين: ١/٢٣١و٢٣٢.

[4] ينظر مجمع البيان في تفسير القرآن: ٥/١٢٩، لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي الإمامي (ت٥٠٢هـ)، تحقيق باشم الرسولي المحلاتي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.

(٥) أبو علي الفارسي: هو الإمام أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سلمان الفارسي، واحد زمانه في علم العربية أخذ عن الزجاج وابن السراج وطوف بلاد الشام، قيل إنه أعلم من المبرد، توفي سنة (٣٢٧هـ) . ينظر بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: ١/٤٩٦و٤٩٧. لجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان.

٦ السمين الحلبي: هو شهاب الدين أبو العباس احمد بن يوسف بن محمد الحلبي، المقري، النحوي، الشافعي، نزيل القاهرة المعروف بالسمين، قرأ النحو على أبي حيان وسمع محدثين من يونس الدبوسي، له في علوم القرآن المؤلفات وأشهرها اعراب القران او الدر المصون توفي سنة (٧٥٦هـ). ينظر: طبقات المفسرين:١/١٠١و١٠٢.

[7] الدر المصون: ٤/٦٤.

٨ ووجه كونها صفة هو ان الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة والتقدير: بيوتا كائنة لقومكما.

[9] ينظر التبيان: ق٢/٦٨٤، والدر المصون: ٤/٦٤، وروح المعاني: ١١/١٧١.

[10] ينظر روح المعاني: ١١/١٧١.

[11] ينظر التبيان: ق٢/٦٨٤، والدر المصون: ٤/٦٤، وروح المعاني: ١١/١٧١.

❖ (مصر) غير منصرف؛لأنه مؤنث معرفة،ولو صرفته لِخفته لجاز ذلك،ويجوز تذكيره أيضاً،قال الطبرسي[1]: ((وترك الصرف أقيس)).[2]

الفرع الخامس: القراءات:

❖ قوله تعالى: (تبوءا) وفيها قراءتان.

الأولى: قرأ حمزة الكوفي[3] بتسهيل الهمزة كالألف عند الوقف.[4]

الثانية: روى بعض عن حفص أنه قرأ بإبدال الهمزة ياءاً خالصة عند الوقف –تبويا–. وهي قراءة قد ضعفها السمين الحلبي رواية وعربية،[5] بل قد حكم الأئمة بأن طريقها غير صحيح[6].

وعلى فرض صحتها سنداً فهو تسهيل غير قياسي كما قال أبو حيان[7] [8].

❖ قوله تعالى: (بيوتاً) و (بيوتكم):

قرأ ابن كثير وابن عامر[9] وحمزة والكسائي[1] وخلف[2] وقالون[3] وشعبة بكسر الباء[4] وليس لاختلاف القراءة في في الموطنين أثر في الأحكام.

---

(١) الطبرسي: هو أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطوسي، من أعيان الإمامية، صاحب التفسير واللغة والفنون، توفي سنة (٥٠٢هـ) في سبزوار، ونقل إلى مشهد الرضا. ينظر مقدمة تفسيره مجمع البيان.

(٢) مجمع البيان:١٢٩/٥، وينظر القاموس المحيط، فصل الميم–باب الراء: مادة مصر: ١٣٩/٢، وروح المعاني: ١٧١/١١.

(٣) حمزة: هو أبو عمارة حمزة بن حبيب بن عمارة بن اسماعيل الكوفي، مولى آل عكرمة بن ربعي التيمي الزيات، أدرك الصحابة، قرأ القرآن على الأعمش وجعفر الصادق وغيرهما، وقرأ عليه الكسائي وسليم بن عيسى، كان إماما حجة حافظا للحديث بصيرا في الفرائض، توفي سنة (١٥٦هـ). ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء: ٢٦١/١-٢٦٣، لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري (ت٨٣٣هـ)، عنى بنشره ج. برجستاسر، مكتبة الخانجي، مصر، ١٣٥١هـ – ١٩٣٢م.

(٤) ينظر السبعة في القراءات: ص٣٢٩، لابن مجاهد (ت٣٢٤هـ)، تحقيق الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، مصر. وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: ص٢٥٣، للإمام أحمد عبد الغني الدمياطي الشهير بالبناء (ت١١١٧هـ)، تعليق علي محمد الضباع، دار الندوة الجديدة، بيروت – لبنان.

(٥) ينظر الدر المصون: ٦٣/٤.

(٦) ينظر السبعة لابن مجاهد: ص٣٢٩، وغيث النفع: ص٢٤٧، والإتحاف: ص٢٥٣، والبدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة المتواترة من طريق الشاطبية والدرة: ص١٤٨، لعبد الفتاح القاضي، شركة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الاولى،١٣٧٥هـ–١٩٥٥م. ذكر الأئمة أنها وردت بطريق هبيرة (محمد بن التمار) وعبد الرحمن، وكلاهما ضعيف.

(٧) أبو حيان: هو أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي ، إمام النحو والتفسير، صاحب التصانيف المشهورة، منها: تفسير البحر المحيط ، توفي سنة (٧٤٥هـ). ينظر: شذرات الذهب: ١٤٥/٦، وطبقات المفسرين: ٢ / ٢٨٧ .

(٨) ينظر تفسير البحر المحيط: ١٨٦/٥. لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي (ت٧٤٥هـ)، دار الفكر، الطبعة الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م .

(٩) ابن عامر: هو عبدالله بن عامر بن يزيد، قرأ على ابي معاذ وابي الدرداء وهو احد القراء السبعة وامام اهل الشام توفي سنة (١٤٩هـ) ينظر غاية النهاية: ٦١٣/١.

❁ الفرع السادس: الوجوه البلاغية وسر تنويع الخطاب.

وقع الوحي بهذا الأمر إلى موسى وهارون عليهما السلام؛ لأنه من الأعمال الراجعة إلى تدبير أمر الأمة فيمكن الاشتراك فيها بين الرسول ومؤازره.[٥]

ولكننا نرى الآية الكريمة قد تنوع الخطاب فيها وغُيِّرَ أسلوب النظم من شكل لآخر وذلك كل على حسب ما يقتضيه المقام ولكل نكتة. وعلى النحو التالي:

❖ البيوت جمع والقبلة مفرد والسياق يقتضي الاتفاق اللفظي. قال ابن الجوزي[٦] مجيبا: فمن قال المراد بالقبلة الكعبة قال: وحدت القبلة لتوحيد الكعبة، ومن قال غيرها أراد: اجعلوا بيوتكم قِبَلاً فاكتفى بالواحد عن الجمع[٧].

ويجوز أن يكون قد وحّد (قبلة) لأنه أجراها مجرى المصدر، فيكون المعنى: واجعلوا بيوتكم إقبالاً على الله تعالى.

ويجوز أن يكون وحّدها والمعنى: واجعلوا بيوتكم شيئا قبلة، ومكانا قبلة، ومحلة قبلة.[٨] وبنحو هذه الوجوه ذكر الرازي[٩].[١٠]

❖ تنوع الضمير في قوله تعالى: (تبوءا)، (واجعلوا) (وأقيموا)، (وبشر). فقد ثني في الأول وجمع في الثاني والثالث ووحد في الأخير، فما السر في ذلك؟.

---

(١) الكسائي: هو ابو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله ، من ولد بهمن بن فيروز، مولى بني أسد، امام الكوفيين في النحو ، أحد القراء السبعة ، توفي بالري سنة (١٨٢هـ). ينظر بغية الوعاة ١٦٢/٢.

(٢) خلف: هو ابو محمد خلف بن هشام بن ثعلب وقيل ابن طالب بن غراب، البغدادي، المقري، البزار، احد الاعلام وله اختيار في القراءة، قرأ على سليم عن حمزة، توفي سنة (٢٢٩ هـ) . ينظر: غاية النهاية: ٢٧٢/١-٢٧٤ .

(٣) قالون: هو أبو موسى عيسى بن ميناء بن وردان الزرقي مولى بني زهرة ، قارئ أهل المدينة ونحويهم في زمانه، توفي سنة (٢٢٠هـ) . ينظر غاية النهاية:١/ ٦١٥و ٦١٦.

(٤) وهي لهم في القرآن الكريم كله. ينظر غيث النفع: ص٢٤٧، والإتحاف: ص٢٥٣.

(٥) التحرير والتنوير: ٢٦٤/١١.

(٦) ابن الجوزي: هو أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد المعروف بابن الجوزي، يعود نسبه إلى أبي بكر الصديق، حنبلي المذهب، توفي سنة (٥٩٧هـ) ببغداد. ينظر: وفيات الأعيان: ٣٢١/٢و٣٢٢، وطبقات المفسرين : ١ / ٢٧٥ – ٢٨٠ .

(٧) ينظر زاد المسير: ٥٥/٤.

(٨) ينظر المصدر السابق.

(٩) الرازي: هو الإمام العلامة أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين القرشي الطبرستاني الأصل، الشافعي، المفسر، صاحب التصانيف المشهورة والتي من أشهرها التفسير الكبير، توفي بهراة سنة (٦٠٦هـ) . ينظر العبر في خبر من غبر: ٣ / ١٤٢، للإمام الذهبي، حققه: محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان.

(١٠) ينظر تفسير الرازي: ١٤٨/١٧.

أجاب الزمخشري وغيره فقال: ((خوطب موسى وهارون ـ عليهما السلام ـ أن يتبوءا لقومهما بيوتا ويختاراها للعبادة وذلك مما يفوض إلى الأنبياء، ثم سيق الخطاب عاما لهما ولقومهما باتخاذ المساجد والصلاة فيها لأن ذلك واجب على الجمهور، ثم خص موسى – عليه السلام – بالبشارة التي هي الفرض تعظيما لها وللمبشر بها)).[1]

❖ اختلف المفسرون في المراد بقوله تعالى: (بشر) على قولين:

الأول: أنه موسى – عليه الصلاة والسلام – وذلك تماشيا مع السياق والخطاب الكريم. وهذا ما قال به غير واحد.[2]

الثاني: أنه محمد – صلى الله عليه وسلم – وعليه يكون الخطاب على طريقة الالتفات[3] والاعتراض التذييلي[4]، وبه قال بعض.[5]

❁ الفرع السابع: الوجوه والنظائر:

الوجوه: اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان كلفظ الامة.

والنظائر: كالألفاظ المتواطئة.[6] وقيل غير ذلك.[7]

وقد اخترت المفردات الآتية:

١-الوحي: جاء الوحي في القرآن الكريم على وجوه، منها:

الأول: الإلهام. وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾[1]، أي الهمتهم . نظيرها في سورة النحل، قال: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنْ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنْ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾[2].

---

[1] تفسير الكشاف: ٢٤٩/٢، وينظر : تفسير الرازي: ١٤٨/١٧، والتبيان: ق٦٨٤/٢، والدر المصون: ٦٤/٤، وروح المعاني: ١٧٢/١١.

[2] ينظر تفسير الكشاف: ٢٤٩/٢، وتفسير النسفي: ١٧٣/٢، وتفسير القرطبي: ٢٣٨/١٨، وتفسير فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: ٤٦٧/٢، لمحمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، دار المعرفة، بيروت . لبنان.

[3] الالتفات: ((وهو نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر تطرية واستدرارا للسامع، وتجديدا لنشاطه، وصيانة لخاطره من الملل والضجر بدوام الأسلوب الواحد على سمعه)). البرهان في علوم القرآن: ٣٦١/٣، لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت٧٩٤هـ)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، الطبعة الاولى، ١٤٠٨هـ–١٩٨٨م.

[4] الاعتراض: ((وهو في أثناء الكلام أو كلامين متصلين معنى بشيء يتم الغرض الأصلي بدونه ولا يفوت بفواته، فيكون فاصلاً بين الكلام والكلامين، لنكتة)). البرهان: ٦٢/٣.

أما التذييل: ((فهو أن يؤتى بعد تمام الكلام بكلام مستقل في معنى الأول؛ تحقيقا لدلالة منطوق الأول، أو مفهومه؛ ليكون معه كالدليل، ليظهر المعنى معه عند من لا يفهم، ويكمل عند من فهمه)). البرهان: ٧٧/٣.

[5] ينظر تفسير ابن جرير: ١٥٦/١١، وتفسير البغوي: ٤٣١/٢.

[6] ينظر: البرهان: ١٣٤/١، والاتقان في علوم القرآن: ١٢١/٢ للسيوطي، تحقيق أبو الفضل ابراهيم، مصر، ١٩٦٧م .

[7] ينظر نزهة الاعين النواظر في علوم الوجوه والنظائر : ص ٨٣، لابن الجوزي، تحقيق محمد عبد الكريم الراضي، بيروت، ١٩٨٤.

الثاني: الوحي الذي ينزل به جبريل –عليه السلام – من الله على الانبياء، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَهِيمَ وَإِسْمَعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَرُونَ وَسُلَيْمَنَ وَءاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا . . . ﴾[٤] من هذا النظير.

الثالث: الأمر، كقوله تعالى : ﴿. . . وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[٥]، نظيرها قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ [٦]، أي: يأمر بعضهم بعضا.

الرابع: القول: وهو ظاهر في قوله تعالى : ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾[٧].[٨]

٢- التبوء:

الأول: الاستيجاب. كقوله تعالى في سورة البقرة : ﴿. . فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [٩]، نظيرها قوله تعالى في سورة آل عمران : ﴿أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنْ اللَّهِ وَمَأْوَيهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾[١٠]،

أي: استوجب الغضب من الله .

الثاني: بمعنى النزول: كقوله تعالى في سورة يوسف عليه السلام: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[١١]، نظيرها قوله تعالى في سورة يونس : ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمْ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [١٢].

---

[١] سورة المائدة الاية (١١١).

[٢] سورة النحل : الاية (٦٨) .

[٣] سورة النساء : الاية (١٦٣) .

[٤] سورة يونس: الآية (٨٧) .

[٥] سورة السجدة : الاية (١٢).

[٦] سورة الانعام : الاية (١١٢) .

[٧] سورة الزلزلة : الاية (٥).

[٨] ينظر: نزهة الاعين: ص ٦١٩، والوجوه والنظائر في القرآن الكريم عن هارون بن موسى : ص ١٦٥-١٦٦، تحقيق الدكتور حاتم الضامن، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.

[٩] سورة البقرة : الاية (٩٠)

[١٠] سورة آل عمران : الاية (١٦٢).

[١١] سورة يوسف : الاية (٥٦) .

[١٢] سورة يونس : الاية (٩٣).

الثالث: التوطن: كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالإِيمَـنَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَـنْ هَـاجَرَ إِلَـيْهِمْ وَلا يَجِـدُونَ فِـي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِـهِ فَأُوْلَئِـكَ هُـمْ الْمُفْلِحُـونَ﴾ [1]، وقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيـهِ أَنْ تَبَـوَّءا لِقَوْمِكُمَـا بِمِصْـرَ بُيُوتًـا وَاجْعَلُـوا بُيُـوتَكُمْ قِبْلَـةً وَأَقِيمُـوا الصَّـلوةَ وَبَشِّـرْ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2]، نظير لها.

الرابع : الرجوع والعودة، كقوله تعالى: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِـنْ أَصْـحَابِ النَّـارِ وَذَلِـكَ جَـزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾[3]. [4]

٣- إقامة الصلاة: وقد جاء في القرآن الكريم على وجهين:

الأول: وهو الأكثر: تمامها والإيتاء بها على أحسن الوجوه وأكملها: كقولـه تعـالى: ﴿الَّـذِينَ يُؤْمِنُـونَ بِالْغَيْـبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَوةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [5]، وقوله تعـالى: ﴿وَأَوْحَيْنَـا إِلَـى مُوسَـى وَأَخِيـهِ أَنْ تَبَـوَّءا لِقَوْمِكُمَـا بِمِصْـرَ بُيُوتًـا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلوةَ وَبَشِّرْ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [6]، ونظائرها كثير.

الثاني: الاقرار بها، وهو واضح في قوله تعالى : ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَـاقْتُلُوا الْمُشْـرِكِينَ حَيْـثُ وَجَـدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلوةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُـورٌ رَحِـيمٌ﴾[7]، نظيرها قوله تعالى: ﴿ لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلا وَلا ذِمَّةً وَأُوْلَئِـكَ هُـمْ الْمُعْتَـدُونَ ، فَـإِنْ تَـابُوا وَأَقَـامُوا الصَّـلوةَ وَآتَـوْا الزَّكَـاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[8]. [9]

الفرع الثامن: الدروس المستنبطة من الآية.

ذكر المفسرون لهذه الآية فوائد وأحكاماً فقهية من أهمها:

١. اتخاذ البيوت مساجد ومنازل للعبادة.[10]

---

[1] سورة الحشر : الاية (٩).

[2] سورة يونس : الاية (٨٧).

[3] سورة المائدة : الاية (٢٩)

[4] ينظر : الوجوه والنظائر : ص ٥٢.

[5] سورة البقرة : الآية (٣)

[6] سورة يونس : الآية (٨٧) .

[7] سورة التوبة : الآية (٥).

[8] سورة التوبة : الآية (١٠-١١)

[9] ينظر : اصلاح الوجوه والنظائر : ص ٣٩١، لأبي عبد الله محمد بن علي الدامغاني (ت٤٧٨هـ)، تحقيق: عبد العزيز سيد الأهل، بيروت، ١٩٧٠م، والاشباه والنظائر في النحو: ص ١٢٧، لجلال الدين السيوطي، راجعه وقدم له الدكتور فائز ترحيبي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م.

[10] ينظر تفسير القرطبي : ٢٣٨/٨، وأيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: ٥٠١/٥، لأبي بكر جابر الجزائري، مطبعة ومكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.

لقد أباح الله لنا بنعمته –وله الحمد– أن نصلي في المساجد والبيوت وحيث أدركتنا الصلاة، إلا أن النافلة في المنازل أفضل منها في المساجد إذ النوافل يحصل فيها الرياء والفرائض لا يحصل فيها ذلك، وكلما خلص العمل من الرياء كان أوزن وأزلف عند الله سبحانه وتعالى.

ولهذا اختلف العلماء في قيام رمضان: هل إيقاعه في البيت أفضل أو في المسجد؟ والخلاف يطلب في مظانه[1].

ولاتخاذ البيوت مساجد ومنازل للعبادة أدلة من السنة، أذكر طرفا منها:

أولاً: قوله عليه الصلاة والسلام: ((اجعلوا في بيوتكم من صلاتكم ولا تتخذوها قبورا)).[2]

قال النووي: ((معناه صلوا فيها ولا تجعلوها كالقبور مهجورة من الصلاة، والمراد به صلاة النافلة، أي: صلوا النوافل في بيوتكم)).[3]

ثانيا: عن عبد الله بن شفيق رضي الله عنه قال: سألت عائشة عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تطوعه قالت: ((كان يصلي في بيتي قبل الظهر أربعا ثم يخرج فيصلي بالناس ثم يدخل فيصلي ركعتين وكان يصلي بالناس المغرب ثم يدخل فيصلي ركعتين ثم يصلي بالناس العشاء ويدخل بيتي فيصلي ركعتين)).

ثالثا: عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم قبل الظهر سجدتين وبعدها سجدتين وبعد المغرب سجدتين فأما المغرب والعشاء والجمعة فصليت مع النبي صلى الله عليه وسلم في بيته.

رابعا: عن كعب بن عجرة[4] رضي الله عنه ((أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى مسجد بني الأشهل فصلى فيه المغرب فلما قضوا صلاتهم رآهم يسبحون بعدها فقال: هذه صلاة البيوت))[5]. ويسبحون بعدها أي يصلون السنة كما في في عون المعبود.[6]

---

(١) خلاصة القول فيه: ذهب مالك إلى أنه في البيت أفضل لمن قوي عليه وبه قال أبو يوسف من الحنفية وبعض أصحاب الشافعي، وذهب ابن عبد الحكم وأحمد وبعض أصحاب الشافعي إلى أن حضورها في الجماعة أفضل ينظر كتاب الفقه على المذاهب الاربعة: ٢٧٧/١–٢٧٨، للامام عبدالرحمن الجزيري، دار الكتاب العربي، دمشق–القاهرة، تفسير القرطبي: ٢٣٨/٨.

(٢) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري: كتاب الصلاة، باب كراهية الصلاة في المقابر،١١٢/١. للإمام محمد ابن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، وصحيح مسلم بشرح النووي: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد: ٤٣٦/٢. تحقيق عبد الله أحمد أبو زينة، دار الشعب، القاهرة.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم: ٤٣٦/٢.

(٤) كعب بن عجرة الأنصاري المدني أبو محمد صحابي مشهور مات بعد الخمسين وله نيف وسبعون. تقريب التهذيب:٤٦١/١ برقم ٥٦٤٣.

(٥) أخرجه أبو داود في سننه:٢/ ٣١ باب ركعتي المغرب أين تصليان برقم (١٣٠٠).

(٦) عون المعبود ج: ٤ ص: ١٢٩.

خامساً: جاءت امرأة إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالت: يا رسول الله إني أحب الصلاة معك، قال: قد علمت أنك تحبين الصلاة معي، وصلاتكِ في بيتكِ خير من صلاتكِ في مسجد قومكِ، وصلاتكِ في مسجد قومكِ خير من صلاتكِ في مسجدي.

فأمرت المرأة أن يبنى لها مسجد في أقصى شيء من بيتها وأظلمه، وكانت تصلي فيه حتى لقيت الله.[1]

سادساً: قوله عليه الصلاة والسلام: ((إذا قضى أحدكم الصلاة في مسجده فليجعل لبيته نصيبا من صلاته فإن الله جاعل في بيته من صلاته خيراً)).[2]

سابعاً: قوله صلى الله عليه وسلم: ((مثل البيت الذي يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه مثل الحي والميت)).[3]

ولعله يمكن ان يقال لمن يشتغل بالدنيا وعمارتها: اشتغل، ولا تنشغل بالدنيا عن الآخرة فلا تشغلك عمارة الدنيا عن إقامة الصلاة قال في التحرير: ((والظاهر أن الداعي إلى أمرهم بإقامة الصلاة أن اتخاذ البيوت كان في حالة رحيل فكانت حالتهم مظنة الشغل عن إقامة الصلوات فلذلك أمروا بالمحافظة على إقامة الصلاة في مدة رحلتهم)).(٤)

٢. إن مما يعين المؤمنين على النصر والفلاح أن يعتزلوا أهل الكفر والفسوق والبدع وذلك حين لا تنفع معهم نصيحة، وأن يستعينوا على بلوغ غايتهم بالصبر والصلاة، وأن يقيموا حياتهم على الأخوة والمحبة الصادقة[5]، وكما قيل: الصاحب ساحب والطبع سراق. ولا يخفى أهمية الصحبة والأخوة وخطورتها كما بين ذلك الله تعالى في القران الكريم وحض عليه وما أكد عليه المصطفى صلى الله عليه وسلم في الأحاديث التي لا يسع المقام لسردها.

٣. استقبال القبلة شرط صحة للصلاة في شريعة موسى –عليه الصلاة والسلام– وهذا موافق لشريعتنا كما بين ذلك فقهاؤنا رحمهم الله تعالى.[6]

٤. وإذا تنزلنا على أنه كان أبيح لهم أن يصلوا في بيوتهم إذا خافوا على أنفسهم فيستدل به على أن المعذور بالخوف وغيره يجوز له ترك الجماعة والجمعة، والعذر الذي يبيح له ذلك كالمرض الحابس أو خوف زيادته،

---

[1] أخرجه أحمد في مسنده: ص٢٠١٥، برقم [٢٧٦٣٠]. للإمام أحمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ)، طبعة جديدة مضبوطة مرقمة مزيدة مصححة مزودة بأرقام الميمنية وفهرسة المسانيد، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

[2] رواه مسلم في صحيحه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في بيته، ٤٣٦/٢.

[3] أخرجه البخاري ومسلم واللفظ له: صحيح البخاري: كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله عز وجل، ١٦٨/٧، وصحيح مسلم: صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في بيته، ٤٣٧/٢.

(٤) التحرير والتنوير: ٢٦٤/١١.

[5] ينظر تفسير الوسيط في تفسير القرآن المجيد: ١٥٨/٧، للواحدي، تحقيق لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ. ١٩٩٤م.

[6] ينظر أحكام القرآن: ١٠٥٥/٣، لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي (ت ٥٤٣هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت. لبنان، ١٩٨٨م. وتفسير القرطبي: ٢٣٨/٨.

أو خوف جور السلطان في مال وغيره والمطر الوابل مع الوحل عذر إن لم ينقطع ومن له ولي حميم قد حضرته الوفاة ولم يكن عنده من يمرضه[1].

٥. نجاة نبي الله موسى عليه السلام وقومه من فرعون مرَّ بمراحل... لما أراد الله تعالى إنجاء من آمن من بني إسرائيل هيأ أسباب النجاة وجعلها على مراحل، وابتدأها بما في هذه الآية.

أوحى الله إلى موسى وهارون أن يتخذا لبني إسرائيل بيوتا خاصة بهم؛ وذلك لفرزهم وتنظيمهم للرحيل من مصر في الوقت المختار.

ولم يكتف بذلك فقد كلفهم تطهير بيوتهم وتزكية نفوسهم والاستبشار بنصره تبارك وتعالى.

وتلك هي التعبئة الروحية إلى جوار التعبئة النظامية، فهما معا ضروريتان للأفراد والجماعات ولا سيما قبيل المعارك والمشقات.

وقد يستهين قوم بالتعبئة الروحية، بيد أن التجارب كانت وما تزال إلى هذه اللحظة تنبيء بأن العقيدة والسلاح الروحي هو الأول في المعركة وأن الإرادة الحربية في يد الجندي الحائرِ العقيدة لا تساوي شيئا في ساعة الشدة.

وعلى هذا ربّى الله أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم: ﴿وَلا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنْ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[2]. فانظر الى قوله تعالى ((وترجون من الله مالا يرجون)) كيف ميز الله المسلم عن الكافر – وان كانا سواء في تحمل مشقة الحرب – ميزه بما يرجوه من الله وهذا هو العامل المعنوي والذي لا يجدي من دونه أي عامل مادي.

وهذه الحكاية التي يعرضها الله على العصبة المؤمنة ليكون لهم فيها أسوة حسنة، وهي ليست خاصة ببني إسرائيل وإنما هي تجربة إيمانية خالصة عامة، فقد يجد المؤمنون أنفسهم يوما مطاردين في المجتمع الجاهلي وقد عمت الفتنة وتجبر الطاغوت، وفسدت موازين الناس، فهنا يرشدهم الحق سبحانه إلى أمرين:

أولاً: اعتزال الجاهلية بنتنها وفسادها وكفرها ـ ما أمكن ـ وبعدها تجمع الجماعة المؤمنة الخيرة الطاهرة على نفسها وذلك ليقوموا بتزكية نفوسهم وتطهيرها وتدريبها على طاعة الله حتى يأتي وعد الله.

ثانياً: اعتزال معابد الجاهلية وأماكن الشبه، واتخاذ بيوت العصبة المؤمنة مساجد، يحسّ الداخل فيها بالانعزال التام عن المجتمع الجاهلي، تزاول فيها عبادتها لربها على النهج الذي أراد بجو منظم طاهر.[3]

❁ الفرع التاسع: دور البيوت المسلمة في الدعوة إلى الله.

إن البيت المسلم الذي أقامه الرعيل الأول جعل منهجَه الإسلام قولا وعملا، صبَغ حياته بنور الإيمان، ونهَل من أخلاق القرآن، فتخرج من أكنافه نماذجُ إسلامية فريدة، كتبت أروعَ صفحات التاريخ وأشدَّها سطوعاً. خرّج البيت المسلم آنذاك

(١) للفقهاء تفصيل في العذر الذي يبيح ترك الجماعة والجمعة يطلب في مظانه. ينظر أحكام القرآن: ١٠٥٥/٣.

[2] سورة النساء : جزء من الآية (١٠٤).

[3] ينظر في ظلال القرآن: ٤٦٩/١١و٤٧٠، للمرحوم سيد قطب، الطبعة السادسة.

للحياة الأبطالَ الشجعان، والعلماءَ الأفذاذ، والعبَّادَ الزهاد، والقادة المخلصين، والأولاد البررة، والنساءَ العابدات. هكذا هي البيوت المسلمة لما بُنِيت على أساس الإيمان والهداية، واستنارت بنور القرآن.

إن البيت المسلم التقيّ النقي حصانةٌ للفطرة من الانحراف، قال ﷺ: ((ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه))[1].

في غياب البيت المسلم الهادئ الهانئ ينمو الانحراف، وتفشو الجريمة، وترتفع نسبة المخدرات، بل ونسمع بارتفاع في نسبة الانتحار.

إن البيت الذي لا يغرس الإيمان ولا يستقيم على نهج القرآن ولا يعيش في ألفةٍ ووئام ينجب عناصرَ تعيش التمزُّقَ النفسي، والضياعَ الفكري، والفسادَ الأخلاقي، بل إنه يغرس العقوق الذي نجده من بعض الأولاد والعلاقات الخاسرة بين الشباب والتخلي عن المسؤولية والإعراض عن الله والتمرُّد على القيم والمبادئ الذي يعصِف بفريق من أبناء أمتنا اليوم، ذلك نتيجة حتمية لبيت غفل عن التزكية، وأهمل التربية، وفقد القدوة، وتشتَّت شمله.

البيت الذي يجعل شرائع الإسلام عِضين[2]، يأخذ ما يشتهي، ويذر ما لا يريد، إلى شرقٍ أو غرب، يُنشئ نماذجَ بشرية هزيلة، ونفوسا مهزوزة، لن تفلح في النهوض بالأمة إلى مواقع عزها وسُؤددها.

يقرر النبي صلى الله عليه سلم أن حياة البيت المسلم وسعادته وأنسه ولذته في ذكر الله، فعن أبي موسى الأشعري[3] رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مثل البيت الذي يُذكر الله فيه والذي لا يذكر الله فيه مثلُ الحي والميت))[4]. وقال: ((لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة))[5].

هذان الحديثان – وغيرُها – يدلان على مشروعية إحياء بيوت المسلمين وتنويرِها بذكر الله من تهليل وتسبيح وتكبير. إحياؤها بالإكثار من صلاة النافلة، وإذا خلت البيوت من الصلاة والذكر صارت قبورا موحشة وأطلالا خربة ولو كانت قصوراً مشيدة.

بغير ذكر الله والقرآن تغدو البيوت خاملة ومرتعا للشياطين، سُكَّانها موتى القلوب وإن كانوا أحياءَ الأجساد. {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى }[6].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: ١/ ٤٥٦ برقم ١٢٩٣.

(٢) عضين: العِضة الكذب والبُهتان وجمعها عِضُونَ مثل عِزَة وعِزون وهو من عَضَوته أي فرقته، والعِضَة والعِضين في لغة قريش السِحر. ينظر مختار الصحاح:ص ١٨٤مادة (ع ض ه).

(٣) أبو موسى الاشعري: عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار –بفتح المهملة وتشديد الضاد المعجمة– أبو موسى الأشعري صحابي مشهور ، أمّره عمر ثم عثمان وهو أحد الحكمين بصفين. مات سنة خمسين وقيل بعدها. تقريب التهذيب:٣١٨/١ برقم ٣٥٤٢.

(٤) رواه مسلم :١/ ٥٣٩ برقم ٧٧٩ ، باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد.

(٥) رواه مسلم :١/ ٥٣٩ برقم ٧٨٠، باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد.

(٦) سورة طه : اية ١٢٤.

وفي هذه الآية الكريمة يبين لنا الحق سبحانه أن البيوت تنوب مناب الأماكن العامة إذا حيل بين الدعوة وهذه الأماكن، وها نحن – وفي كثير من بلدان العالم الإسلامي – نجد كلمة الحق محظورة في المسجد ومضيقا عليها، ففي بلد – عربي إسلامي– يمنع الخطيب رسميا من ذكر الصحابي عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر، وفي بلد آخر يمنع شتم إسرائيل أو الكلام على خطط اليهود وبيان شرهم والكلام عليهم بما هو حق في شأنهم، بل حتى حلقات العلم هي الأخرى قد حيل بينها وبين المساجد، ففي مثل هذه الظروف تقوم البيوت المؤمنة مقام المسجد والدور العامة.[1]

ولكن ومع هذه الظروف يجب أن لا ننسى أن المساجد هي التي تمثل دائرة الإسلام وحوانيت المسلمين، فلا نتخلى عنها إلا في حالات الضرورة القصوى.[2]

ولقد كان دور البيت بارزا في العهد السري للدعوة الإسلامية، حيث كان النبي –صلى الله عليه وسلم – يلتقي بأصحابه في بيت الأرقم بن أبي الأرقم[3] سرا، فكان المأوى الذي ربى الناشئة الأولى والفتية المؤمنة.

وهذه ضرورة كانت معهم، ويوم زالت حين منّ الله على المؤمنين بالهجرة تحول الحال وذهبت تلك المعاناة والضرورة وبنى النبي الكريم – صلى الله عليه وسلم – المسجد ليعلّم الآخرين أن المسجد هو بيت المسلمين كلهم وأنه جامعهم ومانعهم وهو الوحدة التي يجب أن ينطلق منه كل خير.

الفرع العاشر: المعنى الإجمالي للآية.

حين أرسل الله موسى وأخاه هارون ـ عليهما السلام ـ إلى فرعون وقومه ليدعوه إلى عبادة الله رب العالمين، لم يستجب فرعون لهذه الدعوة المباركة بل جابهها بالاستهزاء والسخرية، ثم بالتمرد والطغيان والظلم والقتل.

ولم تكن الدعوة التي قادها موسى ـ عليه السلام ـ عقيمة، بل استجاب لها بعض الناس ممن كان له قلب سليم، فخضعوا لما جاء به موسى من الأوامر الإلهية والتي من أهمها إقامة الصلاة.

ولكن هذا الأمر لم يرض فرعون الطاغية فقام بتدمير الأماكن العامة التي يجتمع فيها بنو إسرائيل للعبادة والتي تسمى بيعاً وصلوات.

فاغتم بنو إسرائيل لهذا الأمر وأصابتهم الحيرة ماذا يفعلون؟! وأين يصلون؟!.

جاء الأمر الرباني: أن يا موسى وهارون اتخذا لقومكما بمصر بيوتا واعتزلا فرعون وابنوا بيوتا متقابلة فيما بينها متوجهة نحو القبلة وذلك لتسكنوا فيها وتأمنوا فيها على نفوسكم وأعراضكم وأموالكم، والحكمة في جعل البيوت إلى

---

[1] ينظر الأساس في التفسير: ٥/٢٥٠٠، للشيخ سعيد حوى، دار السلام، الطبعة الثانية، ١٩٨٩م .

[2] ينظر الأساس في التفسير: ٥/٢٥٠٠.

[3] الأرقم بن أبي الأرقم: وكان اسمه عبد مناف بن أسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم يكنى أبا عبد الله، كان من السابقين الأولين قيل: أسلم بعد عشرة، وكانت داره على الصفا وأن الأرقم حبسها وأن أحفاده بعد ذلك باعوها لأبي جعفر المنصور، شهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها، توفي في خلافة معاوية سنة (٥٥هـ) وهو ابن خمس وثمانين سنة وصلى عليه سعد بن أبي وقاص. ينظر الإصابة في تمييز الصحابة: ١/٢٨، لشهاب الدين أحمد ابن علي بن محمد المعروف بابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.

القبلة أن الشمس تدخلها من أبوابها في غالب أوقات النهار في جميع الفصول وفي ذلك منافع كثيرة[1]، فإذا أمنتم أصبحتم مؤهلين لإقامة العبادة، وعندها أقيموا الصلاة وأكثروا من الدعاء متوجهين إليّ بقلوبكم قاصدين وجهي.

فإذا فعل قومك ما أمروا به فما عليك إلا أن تبشر المؤمنين الصادقين بأن لهم الغلبة والنصرة، وأن كفي ملآ لعبدي إن أطاعني أعطيته قبل أن يسألني وأجبته قبل أن يدعوني.

وقد كان لبني إسرائيل ديار في مصر من قبل إذ لا يكونون قاطنين مصر بدون مساكن وقد كانوا ساكنين أرض " جاسان" قرب مدينة "منفيس" قاعدة المملكة يومئذ في جنوب البلاد المصرية ولا جرم أن تكون البيوت المأمور بتبوئها غير البيوت التي كانوا ساكنيها.[2]

والذي يظهر أن هذه البيوت كانت خياماً أو أخصاصاً أمرهم الله باتخاذها تهيئة للارتحال وهي غير ديارهم التي كانوا يسكنونها في ((جاسان)) قرب مدينة فرعون وقد جاء في التوراة ما يشهد بهذا التأويل في الفصل الرابع من سفر الخروج ((إن الله أمر موسى أن يخرج ببني إسرائيل إلى البادية ليعملوا عيد الفصح ثلاثة أيام وأن ذلك أول ما سأله موسى من فرعون وأن فرعون منعهم من ذلك وأن موسى كرر طلب ذلك من فرعون كل ذلك يمنعه كما في الفصل السابع والفصل الثامن من سفر الخروج وقد صار لهم ذلك عيدا بعد خروجهم)).[3]

خاتمة البحث

بعد هذه الوقفات التي وقفتها مع هذه الآية الكريمة أجد نفسي قد خرجت بفوائد جمة، ألخصها بما يلي:

١- كلما ابتعد الإنسان عن ربّه وخالقه ازداد ضياعه عن سبيل الحق وأصابه بذلك التيهان والمعيشة الضنك: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً. ﴾[4].

٢- القرآن كلام الله المعجز فيه خبر من قبلنا ومن بعدنا، وهو الدواء الناجع للجميع، وهو الدستور الصالح لكل زمان ومكان. ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ. ﴾[5] ومن شك في ذلك أو نازع فهو مكابر جاهل أحمق قد ضل سواء السبيل.

٣- ضياع البيت المسلم وشتاته في الإقلال من عبادة الله عزوجل وذكره، وهو من أهم الأسباب التي أدت بالأمة إلى ضياعها الذي تعيشه اليوم، ولقد جاءت هذه الآية كسائر الآيات القرآنية تحث على التمسك بهذه الأمور العظيمة بجعل البيت المسلم قبلة وقدوة يقتدى بها في طاعته لربه ومكارم الأخلاق.

---

(١) ينظر التحرير والتنوير: ٢٦٤/١١.

(٢) ينظر التحرير والتنوير: ٢٦٤/١١.

(٣) التحرير والتنوير: ٢٦٤/١١.

[4] سورة طه: جزء من الآية (١٢٤)

[5] سورة الانعام : جزء من الاية (٣٨)

٤- التبشير بدين الله ورحمته، وحمل البشارة للأمة أمر ليس بالهيّن، فهو شعار الأنبياء جميعا والأولياء، وهو شعار الدعاة في سبيل الله، وهو منهج سيد الوجود صلى الله عليه وسلم الذي أمرنا به : يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا.

المصادر

١. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، للإمام أحمد عبد الغني الدمياطي الشهير بالبناء (ت ١١١٧هـ)، تعليق علي محمد الضباع، دار الندوة الجديدة، بيروت — لبنان.

٢. الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، مصر، ١٩٦٧م

٣. أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي (ت ٥٤٣هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت ـ لبنان، ١٩٨٨م.

٤. أساس البلاغة، للعلامة الزمخشري، دار صادر بيروت، ١٣٩٩هـ — ١٩٧٩م.

٥. الأساس في التفسير، للشيخ سعيد حوى، دار السلام، الطبعة الثانية، ١٩٨٩م.

٦. الأشباه والنظائر في النحو، لجلال الدين السيوطي، راجعه وقدم له الدكتور فائز ترحيبي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م.

٧. الإصابة في تمييز الصحابة، لشهاب الدين أحمد بن علي بن محمد المعروف بابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت — لبنان.

٨. إصلاح الوجوه والنظائر، لأبي عبد الله محمد بن علي الدامغاني (ت٤٧٨هـ)، تحقيق: عبد العزيز سيد الأهل، بيروت، ١٩٧٠م،

٩. إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت — لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ — ١٩٨٦م.

١٠. إعراب القرآن، لأبي جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ)، تحقيق الدكتور زهير غازي زاهد، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ — ١٩٨٥م.

١١. الإمام أبو الثناء الآلوسي، بقلم الأستاذ محسن عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة- العراق، الطبعة الأولى- ١٩٩٢

١٢. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، لأبي بكر جابر الجزائري، مطبعة ومكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م

١٣. البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة، لعبد الفتاح القاضي، شركة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م.

١٤. البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة، لعبد الفتاح القاضي، شركة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م.
١٥. البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي(ت٧٩٤هـ)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
١٦. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: لجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت — لبنان.
١٧. التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت٦١٦هـ)، تحقيق محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت — لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
١٨. التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر.
١٩. تذكرة الحفاظ، للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت — لبنان.
٢٠. تفسير ابن جرير المسمى (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، لأبي جعفر محمد ابن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.
٢١. تفسير البحر المحيط، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي (ت٧٤٥هـ)، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ — ١٩٧٨م.
٢٢. تفسير القرطبي المسمى (الجامع لأحكام القرآن)، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت٦٧١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
٢٣. التفسير الكبير، للإمام الفخر الرازي (ت٦٠٦هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية.
٢٤. تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت ٥٣٨ هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت — لبنان.
٢٥. تفسير النسفي للإمام أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت٧٠١هـ)، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه، مصر.
٢٦. تفسير الوسيط في تفسير القرآن المجيد، للواحدي، تحقيق لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م
٢٧. تقريب التهذيب: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، نشر: دار الرشيد — سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ — ١٩٨٦، تحقيق: محمد عوامة

٢٨. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لشهاب الدين أبي العباس بن يوسف بن محمد بن إبراهيم المعروف بالسمين الحلبي (ت٧٥٦هـ)، تحقيق مجموعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ–١٩٩٤م.

٢٩. زاد المسير في علم التفسير، للإمام أبي الفرج عبد الرحمن الجوزي القرشي (ت٥٩٧هـ)، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٨٥هـ — ١٩٦٥م.

٣٠. السبعة في القراءات، لابن مجاهد (ت٣٢٤هـ)، تحقيق الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، مصر.

٣١. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لعبد الحي بن العماد الحنبلي (ت١٠٨٩هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان

٣٢. صحيح البخاري، للإمام محمد ابن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان.

٣٣. صحيح مسلم بشرح النووي، تحقيق عبد الله أحمد أبو زينة، دار الشعب، القاهرة.

٣٤. طبقات المفسرين – أحمد بن محمد الأدنروي، نشر: مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٩٩٧، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي.

٣٥. العبر في خبر من غبر: للإمام الذهبي، حققه: محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان

٣٦. غاية النهاية في طبقات القراء، لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري (ت٨٣٣هـ)، عنى بنشره ج. برجستاسر، مكتبة الخانجي، مصر، ١٣٥١هـ — ١٩٣٢م.

٣٧. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان

٣٨. في ظلال القرآن، للمرحوم سيد قطب، الطبعة السادسة.

٣٩. مجمع البيان في تفسير القرآن: لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي الإمامي (ت٥٠٢هـ)، تحقيق باشم الرسولي المحلاتي، دار إحياء التراث العربي، بيروت — لبنان

٤٠. مسند الإمام أحمد، للإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ)، طبعة جديدة مضبوطة مرقمة مزيدة مصححة مزودة بأرقام الميمنية وفهرسة المسانيد، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ١٤١٩هـ — ١٩٩٨م.

٤١. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لجمال الدين ابن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ)، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، نشر مؤسسة الصادق، طهران، الطبعة الأولى.

٤٢. نزهة الأعين النواظر في علوم الوجوه والنظائر، لابن الجوزي، تحقيق محمد عبد الكريم الراضي، بيروت، ١٩٨٤.

٤٣. الوجوه والنظائر في القرآن الكريم عن هارون بن موسى، تحقيق الدكتور حاتم الضامن، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٤٠٩هـ–١٩٨٨م.